تجاوز عدد زوارها الـ١٤ مليون نسمة
الزيارة الاربعينية كشفت عن تردي الواقع السياحي فهل من علاج؟

بغداد / ســـها الشيخلي
تصوير ادهم يوسف

كشفت التقارير عن ان مدينة واحدة في العراق هي كربلاء المقدسة قد استقبلت بمناسبة الزيارة الاربعينية اكثر من ١٤ مليون نسمة و ان عدد الوافدين اليها من الاقطار المجاورة وحتى الدول الاجنبية قد تجاوز هو الاخر النصف مليون شخص. فكيف استطاعت مدينة كربلاء ان تقدم الخدمات السياحية لكل هذا العدد الهائل من الزوار؟. وقد حفزت هذه المعلومات لدينا متابعة موضوع سبق ان تناولته العديد من وسائل الاعلام وهو المتمثل بالسياحة الدينية التي لم تلق الاهتمام الذي يتناسب ومافي العراق من امكانات. فمن حقائق الامور ان العراق بلد سياحي وله امكانات سياحية هائلة الا انه لم يصنف كدولة سياحية بعد، لانعدام الاهتمام بهذه الناحية من قبل الحكومات المتعاقبة منذ زمن بعيد، مع انه يمتلك حضارة عريقة ومواقع وآثاراً حضارية إضافة إلى المواقع الدينية حيث احتضنت تربته رفات الانبياء وبيت ومقام أبي الأنبياء سيدنا إبراهيم الخليل (ع) الى جانب الاولياء الصالحين. ونالت المدن المقدسة فيه مثل كربلاء والنجف الاشرف قدسية خاصة لاحتضانهما قبري ابن عم الرسول والخليفة الراشد علي بن أبي طالب (ع) و الامام الحسين (ع) ومع كل ذلك، لا يجد السائح الذي يقصد المدينتين فنادق جيدة تستوعب اعداد الزائرين لهاتين المدينتين،كما اعتدنا ان نشهد اختناقا في حركة نقل الزائرين لعدم وجود باصات تنقل المسافرين بين المدن وان وجدت فهي بدائية تفتقر الى وسائل الراحة والرفاهية مقارنة مع الباصات الفارهة التي كنا نشاهدها في المدن السياحية في دول العالم، وكذلك الباصات الفخمة التي كانت ترد من دول الخليج.

وكان النظام السابق قد انتبه في بعض الفترات الى الخطأ الذي ارتكبه في حق السياحة الدينية ففتح المجال لزيارة المجاميع دون الافراد من باكستان، مقابل رسوم اشبه ما تكون بالضريبة، لكنها بقيت عاجزة عن الوصول الى الحد الادنى من الطموح. النظام الحالي،وكما يبدو وقع في نفس الخطأ خاصة ما يتعلق بالاهتمام بهذا المرفق المهم منذ بداية الاحتلال الاميركي حيث صرح احد المسؤولين عن السياحة الدينية بانه بحث مع الايرانيين سبل تنظيم الزيارات الجماعية، وانه فرض رسوما اقل مما كان يفرضها عدي صدام حسين في حينه، الا ان السياحةلا تعني جمع مبالغ فقط اوسائط النقل فقط، بل خدمات اخرى اوسع واشمل بكثير.

صناعة السياحة

عدد من اصحاب الشركات السياحية الاهلية الذين التقيناهم تحدثوا عن واقع السياحة الدينية كان من بينهم عبد الامير العجيلي الذي قال:

يجب علينا التخلص الكامل من موروثات الماضي وعدم مقارنة الحاضر بالماضي و معرفة ان السياحة صناعة لها اصولها وقواعدها وان هناك دولاً تعتاش منها بالكامل، وعلينا فتح الباب على مصراعيه امام المجاميع والافراد الراغبين في الزيارة، وينبغي ان نعرف بان السياحة الدينية لا علاقة لها بحكومة دينية او غيرها، فالمسالة تجارة واقتصاد والتجارة تحتاج الى اخلاق وامان، ففي المفهوم الاقتصادي نرى ان ربح السعودية مثلا من السياحة الدينية وخاصة في موسم الحج يضيف الى ميزانية الحكومة مبالغ طائلة، كما ان السياحة الدينية هي منجم لم يكتشف بعد والدليل على ما اقول توافد الملايين من الزوار بمناسبة اربعينية الامام الحسين والتي جرت قبل ايام ومعاناة الزوار الاجانب من سوء الخدمات.

أهمية السياحة

مدير احدى الشركات السياحية الأهلية جمال الناصري تحدث الينا في هذا المضمار فقال:

بعد سقوط النظام السابق وفي المناسبات الدينية، توافدت على كل من مدينتي كربلاء والنجف الاشرف العديد من الزوار، فهل ادركت الحكومة بعد ما لاهمية السياحة الدينية من جوانب عديدة مع العلم ان

العديد من الدول ادركت اهمية جانب السياحة وما يمكن ان تحققه من عائدات فاتجهت نحوها بكل امكاناتها مثل الهند ومصر ولبنان. وإن ايران من الدول التي تهتم بالسياحة والسفر بشكل جدي و يمكن الاستفادة من تجربتها حتى ان كراجات النقليات في المدن السياحية الكبيرة هي أشبه بالمطارات حيث المطاعم ومحلات بيع التحف والهدايا وأماكن العبادة والمرافق الصحية وبعضها مزودة بفنادق مناسبة، وهذه ماليزيا هي الاخرى التي استقبلت ٤,٣٨ ملايين زائر خلال الربع الأول من عام ٢٠٠٦ وهذا يعني بأن لديها استعداداً لاستقبال أكثر من عشرة ملايين سائح سنويا، في حين استقبلت سورية ثلاثة ملايين سائح عربي في عام ٢٠٠٩ بالرغم من إمكاناتها المحدودة، وإنها وضعت خططاً لجذب ٨ ملايين سائح عام ٢٠١١ ما يكفل لها تحقيق عائدات قيمتها ٢٥ مليار جنيه استرليني، الا اننا مع الاسف الشديد لم ننظر بعد الى السياحة الدينية نظرة جدية.

السياحة الدينية في العراق منجم لم يكتشف بعد

خدمات سياحية

أما عبد المنعم الجبوري صاحب احدى الشركات السياحية فيقول:دأبت الدول على وضع دراسات واصدار احصائيات عن عدد الزوار تقل أو تكثر بما فيها دول أمريكا الجنوبية، وأما نحن في العراق فلم تعمل الحكومة على وضع خطط مناسبة لاستقطاب السائحين سواء كزوار او غيرهم،وإذا كانت الحكومة السابقة تفرض رقابات أمنية على الزائرين وتنظر اليهم بنظرة الشك والريبة بدلا من أن تحسسهم بأنهم ضيوف أعزاء حتى يحدّثوا الآخرين بحسن الضيافة وسهولة الاجراءات لدى عودتهم الى بلدانهم، فيفترض الان بالجهات المسؤولة، واقصد الحكومة، أن تضع آليات تعطي انطباعاً جيداً ومغايراً لما كان عليه في السابق.

واضاف ان السياحة تحتاج الى أجواء من التسامح وإشاعة ثقافة الابتسامة بدءا من موظف الجوازات في المطارات والمنافذ الحدودية البرية والبحرية،و انتهاءا بعامل الفندق، لأن الانطباع الأول هو الانطباع الأخير.

وقد سقط النظام الديكتاتوري والعراق مقبل على تغيير جذري فيتوجب على الحكومة إيلاء أهمية كبيرة للسياحة بعد الانتهاء من تثبيت دعائم الأمن وتحافظ بشكل جدي على الآثار والأضرحة والمراقد والأسواق،مشيراً الى ان العراق يحتاج الى إعادة إكتشاف قدراته السياحية، فهو عراق الحضارة والشعر والأدب والتأريخ والحاضر والمستقبل، عراق المنائر والأضرحة والتنوع المناخي، عراق القوميات واللغات والأديان والمذاهب والثقافات والأطعمة، العراق حالة فريدة من التنوع الذي يحتاجه السائح، ويسعى اليه. العراق موطن الحضارات المتنوعة، وفيه طرز البناء والعادات والتقاليد منذ عهود أكد وآشور وسومر الى حاضرة النجف الأشرف التي تضم أقدم جامعة علمية دينية في العالم أجمع، درس فيها أناس من باكستان والهند وايران وآذربايجان ولبنان وحتى القفقاس وغيرها من البلدان، فاستوطنوا هناك منذ مئات السنين وجلبوا معهم عاداتهم وثقافاتهم وتقاليدهم.

واختتم الجبوري حديثه بالقول باختصار نستطيع القول وبكل ثقة بان العراق يشكل وجهة مفضلة للسياح الذين ينشدون السياحة الدينية والعائلية والثقافية وحتى الترفيهية البحتة، فهذه منطقة كردستان تعد جنة الله على الارض وفيها كل مقومات السياحة الناجحة من مناخ وطبيعة وحسن ضيافة وامان ولا يمكن حصر امكاناتها الهائلة في المجال السياحي، كما وهناك السياحة الداخلية وهي لا تقل اهمية عن السياحة الخارجية حيث يزور اهل الشمال الجنوب في الشتاء ويزور اهل الجنوب الشمال في الصيف، لذا مطلوب خطة تستوعب كل ذلك.

وقال:امام هذه الطموحات لجعل العراق وجهة سياحية مفضلة من الطراز الاول يجب الاهتمام بالسائح وتوفير اقصى درجات الراحة والامان له بدءا من تسهيل منح التاشيرات مرورا بتسهيل التمديد اذا اراد السائح ذلك لدواعي المرض او الرغبة في الاستزادة،والتنبيه على موظفي الجوازات في المطارات بضرورة استقبال الوافدين بابتسامة تشعرهم بالود والامان، وتسهيل عملية تفتيش الامتعة والاكتفاء بتمريرها تحت جهاز الاشعة لتوفير الجهد والوقت، ومن ثم حماية السائح، قدر الإمكان، من حالات النصب والاحتيال والسرقة كونهم هدفا سهلا للنشالين والنصابين، واذا ما دخل السائح الى المدينة يجب ان يجد ما يريده متوفرا وبسهولة ولا سيما وسائل النقل المريحة والمكيفة والامنة والمتوفرة على مدار الساعة، بالاضافة الى الطرق المعبدة السريعة، كما يتوجب الاهتمام بالمطاعم من حيث الجودة والاسعار والنظافة، واقامة سلسلة من الفنادق بمختلف الدرجات ابتداء من فئة الخمسة نجوم نزولا الى تلك التي لا تخضع للتصنيف، وان يراعى في تصميمها وطريقة الخدمة فيها الطراز العراقي الذي يعكس الثقافة المحلية.

وبالمقابل يجب البدء بحملات توعية للشعب باهمية السياحة وكيفية التعامل مع السياح و اقامة معاهد سياحية في الداخل لتعليم اللغات وكيفية التعامل مع السياح، ولاعداد الكوادر المتخصصة وتوفير التدريب اللازم للراغبين في العمل في هذا المجال، وتقديم منح سنوية للدراسة في مجال الفندقة والسياحة في الخارج للوقوف على آخر المستجدات في هذه الصناعة المزدهرة، كما ان على الدولة اصدار مجلة شهرية او دورية متخصصة تعنى بشؤون السياحة في العراق وبلغات عديدة توزع في جميع انحاء العالم مجانا وتوزع خلال الرحلات الجوية على المسافرين مع تزويد السفارات بنسخ منها لتوزيعها في المكان المناسب، والطلب من وزارة السياحة اعداد دليل عن العاصمة بغداد والمدن السياحية الاخرى، يعزز ذلك الدليل بخرائط دالة على خطوط النقل، واسعار الصرف للدينار العراقي، ولعل فتح الباب امام الاستثمارات الاجنبية في المجال السياحي يؤدي الى ازدهار السياحة أيضا.

الذهب الأبيض

أبو رشا صاحب شركة سياحية قال: ربما يكون من المناسب ان نسمي السياحة بتسمية تليق بها على غرار تسمية الحليب ومشتقاته بالذهب الأبيض إلى جانب الذهب الاسود والذهب الاخضر أعني (الإمكانات الزراعية الهائلة) في دعم اقتصادنا، وانقاذ اطفالنا من الضياع في الشوارع،ولاننسى ان حروب النظام السابق المستمرة في شمال العراق قبل سقوطه حرمتنا من الاستفادة من

مطلوب اجراءات تساعد المواطن على الاستثمار في هذا القطاع

امكانات السياحة هناك، كما ان السياسات الرعناء له وعيون المخابرات افسدت متعة زيارة المراقد والاضرحة،وبالتاكيد فانه بدد ثروات البلاد النفطية بطريقة جعلت المواطنين يقفون في طوابير طويلة من اجل صفيحة من النفط في الشتاء والشعوب الاخرى تصدر نفطها وتبني بعائداتها اوطانها.

كل البلدان تضج بالحركة الا العراق، صمته مطبق، وحزنه شامل، وساعاته ترجع الى الوراء، وليس لنا الا ان نحلم، والاحلام قد تتحقق يوما والشعوب الحية لا تعرف اليأس، ودعونا نأمل الافضل وننشد الاحسن، من خلال ما تتمتع به بلادنا من مكانة دينية مرموقة بين الدول الاسلامية.

السياحة الدينية بين الواقع والطموح

من الوقف الشيعي تحدث الينا السيد صالح الحيدري حيث قال:

يتمتع العراق بمكانة دينية ممتازة، لذا فان السياحة الدينية فيه لا تنحصر في مواسم معينة بل هي منفتحة على مدار السنة، فياتيها السائحون من جميع انحاء العالم، لكن السائح لا يجد في معظم المدن السياحية خدمات فندقية جيدة كما لا يجد اسواقا عامرة يمكن ان يتبضع منها هدايا لاهله عند عودته من الزيارة،وقد تحدثنا بهذا الكلام مرارا مع اصحاب العلاقة وقلنا لهم ان السياحة هي صناعة تصرف دول العالم المليارات من اجل خلق اجواء واماكن دينية لها، الا اننا نتمتع بموقع سياحي ديني كبير لكننا مع الاسف لم نستثمره بعد، فالدولة لم تهتم بالسياحة الدينية. ويتابع السيد الحيدري فيقول المال متوفر لدينا ونستطيع بناء الفنادق الكبيرة،وبتنوع درجاتها، فنحن نستطيع مثلا بناء ١٠ فنادق في اطراف مدينة النجف، ولكن مطلوب من الحكومة ان تهيئ لنا المستلزمات الأخرى، مثلا نظافة الشوارع والخدمات البلدية، وخطوط النقل العام والخاص،وقد بادرنا وقلنا وتحدثنا كثيرا للارتقاء بواقع السياحة الدينية لكن الحكومة لم تسمعنا، طلبنا ميزانية من وزارة المالية وتخصيصات فكان رد وزارة المالية لا يجوز ان نعطيكم اكثر من الوقف السني!.

ويضيف السياحة الدينية تعزز اقتصاد البلد ولتشغيل الايدي العاملة العاطلة فيه، لكن لا توجد رعاية لهذا النوع من السياحة، المال موجود والعراق مهيأ نفسيا لازدهار هذه الصناعة، فما علينا الا ايجاد هيئات استثمارية للبدء بمشاريع البناء.

وزارة السياحة

من وزارة السياحة تحدث الينا عبد الزهرة الطلقاني، مؤكداً ان السياحة الدينية في العراق تعتبر من اهم انواع السياحة بل الاولى التي فرضت نفسها منذ وقت مبكر بعد سقوط النظام المباد، وذلك عام ٢٠٠٤ من خلال توافد أعداد كبيرة من الاجانب الى العراق، لغرض زيارة المراقد الدينية المقدسة، وبدأت الاحصائيات السياحية تسجل ارقاما تشير الى تصاعد هذه السياحة بشكل ملحوظ، ففي عام ٢٠٠٦ وفد الى العراق ٣٥٠ الف سائح ديني، وتطور هذا الرقم عام ٢٠٠٧ الى ٥٠٠ الف سائح ديني، وفي عام ٢٠٠٨ تصاعد الرقم ليصل الى مليون سائح ديني من ١٦ بلدا، وفي عام ٢٠٠٩ بلغ عدد الوافدين الى العراق لغرض السياحة الدينية مليوناً و ٢٥٠ ألف سائح ديني، واستمر هذا الرقم بالتطور والنمو حيث سجل عام ٢٠١٠ مليوناً ونصف المليون سائح ديني، من ٣٠ بلدا. واضاف ان ما يلاحظ ان هنالك تطوراً بالارقام ونموها لعدد السياح اضافة الى تنوع المصادر الوافدة الى العراق، ما شكل حاجة كبيرة لبنى تحتية للسياحة في العراق وخاصة في المدن الدينية (النجف، كربلاء، الكاظمية، سامراء) الأولوية فيها للقطاع الفندقي، ومع ان هناك مجموعة من الفنادق في كل من كربلاء والنجف على سبيل المثال فان الحاجة قائمة الى المزيدمن الفنادق لإيواء المجاميع السياحية الكبيرة التي بدأت تتوافد الى العراق، ففي النجف الاشرف مثلا هناك ١٦٨ فندقا بدرجات سياحية مختلفة، وفي مدينة كربلاء المقدسة هناك ٣٢٨ فندقا بمختلف الدرجات السياحية، وهذه الاعداد من الفنادق تعتبر مهمة جدا اذا ما قورنت بمحافظات اخرى، فعلى سبيل المثال لايوجد في محافظة المثنى فندق واحد بمواصفات جيدة، وهناك جهود لزيادة عدد الفنادق في المدينتين المقدستين ببناء فنادق اخرى حيث ان هناك ٤٠ مشروعا قيد الانجاز لبناء فنادق، في حين ان مدينة الكاظمية تفتقر الى هذا القطاع المهم، ولا تضم سوى اعداد لا تتناسب وعدد الوافدين اليها من مختلف انحاء العالم، بل ان بعضها غير مناسب ولاتتوفر فيه شروط العمل السياحي.

وعن تهيئة الاقامة لـ١٤ مليون زائر في الزيارة الاربعينية التي جرت قبل ايام اوضح الطلقاني من المهم هو الاهتمام باعداد الوافدين الى المدينة من الاجانب، فالزائر العراقي كما نعرف لا يبحث عن فندق ولا عن مطعم لانهامتوفرة عند الاهل والأقارب والأصدقاء ممن يعيشون في المدينة، بينما الزائر الاجنبي يحتاج الى خدمات عديدة. واضاف لاننسى بان مدينة بغداد هي الاخرى تضم مزارات كثيرة ولطوائف اخرى وكنائس كلها تندرج في مجال السياحة الدينية، لذلك نعمل على استقطاب السواح، كما ان لدينا موقع الكفل، كذلك تتوجه الانظار الى مدينة اور وبيت النبي ابراهيم ابو الانبياء، فالمواقع السياحية متوفرة وكل الذي نحتاجه دخول الاستثمار للبدء بالبناء وتهيئة المرافق السياحية.

وعن واقع وزارة السياحة والاثار اشار الطلقاني الى ان قانون الوزارة لا يزال في مجلس النواب ينتظر الموافقة، كما ان الوزارة ليس لديها ميزانية ثابتة ومستقلة.

الجودة السياحية

ومن الجدير بالذكر وفي ضوء ما يمكن استخلاصه من الموضوع يمكن القول أن على الحكومات توفيرمبالغ كافية و امكانات كبيرة لبلديات المدن المقدسة كما هو الحال في السعودية وايران تساعدها على تجميل الحدائق وتنظيف المدن وتخطيط الشوارع ومراقبة الفنادق والمطاعم وتزويدها بتقنيات للتخلص من النفايات والقمامة لتوفير جو ملائم ونظيف ومريح للوافدين، ومن الاهمية بمكان ان نشير الى ان العراق يزخر بالعديد من المراقد المقدسة يتساوى في زيارتها جميع المسلمين،، وقد لا يعرف البعض بوجود معبد مقدس لطائفة السيخ هومقام (بابا نانك) في بغداد فضلا عن وجود اضرحة لأنبياء وكنائس قديمة ذات شأن للاخوة المسيحيين.

هذه كلها تفتح المجال امام الفقراء واصحاب الخدمات بالاستفادة من ازدهار السياحة علاوة على العائدات التي ستدخل خزينة الدولة او العائدات التي سيستفيد منها التجار.

ومهما يكن من امر فان الآتي أفضل من الماضي، ويجب الاستعداد للسياحة الدينية القادمة ووضع الخطط لاستيعاب التدفق المتوقع للزوار لتقديم موسم زيارة ناجح سواء في عاشوراء او الاربعين والزيارات الشعبانية والرجبية، فهذه المراقد لا تخلو من الزوار على مدار العام، ويتوجب على الدولة مراقبة الجودة السياحية لضمان افضل واجود خدمة سياحية للزائرين لا ان يفترشوا الارض كما حدث ويحدث في كل زيارة، حتى شكا بعض الزوار القادمين من كربلاء صعوبة الاقامة مع ان اهل الخير بادروا بتوزيع الاغطية والمفارش عليهم لكن الامطار جعلت ايام الزيارة صعبة للغاية. كما ان عدداً غير قليل من المواطنين من اصحاب الدور البسيطة، خاصة في المدن الدينية كالكاظمية والنجف وكربلاء، يتمنون توفير فرص ودعم يساعدهم على تحويل مساكنهم الى مشاريع استثمارية، فهل تمتد اليهم يد هيئة الاستثمار؟